قـــراءة فى حقيقة الإدغـــام

إعداد
د. محمد أمين الروابدة

جامعة مؤته / كلية الآداب/ قسم اللغة العربية

الأردن/ الكرك

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" قراءة في حقيقة الإدغام "

د. محمد أمين الروابدة
جامعة مؤته / كلية الآداب / قسم اللغة العربية
الأردن / الكرك

١- الملخص

يحاول هذا البحث أن يجيب عن السؤال الآتي :

هل يمثل الصوت المدغم جزءا من مقطع صوتي واحد ، أو جزءين من مقطعين صوتيين ؟

وبناء على ذلك ، هل ينظر في المدغم من منطلق تحليلي أو من منظار صوتي ؟

يتخذ البحث ، في هذا الموضوع ،من أقوال القدماء والمحدثين منطلقاً يتكئ عليه في النظر في هذه الظاهرة ، ويركز على رأيين لباحثين حديثين تزعم هذه الدراسة أن هذين الرأيين ينظران إلى ظاهرة الإدغام على أنها مسألة تضعيف في اللغة ، لا على أنها عملية تتجاوز التضعيف ، وتختلف عنه

Abstract

This study attempts to answer the following question . Is the Amalgamated sound considered as a part of only one syllable or as two parts of two different syllables or as two parts of two different syllables ? On this question depends another question , that is : Does a researcher view the Amalgamated sound analy tically or menely phonetically ?

The study for answering these two questions , reviews the ancient and modern researcher ‹ thoughts and sayings which deal with Amalgamation .

It also concentrates on two opinions of two recent researchers .

This study claims that the two mentioned opinions , in particular , deal with Amalgamation as if it is tad if " doubling " not as a special process exceeding doubling and differing from it .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مقدمة :

الإدغام ظاهرة لهجية قديمة أثرت فيها كلمة أبي عمرو بن العلا ، ((الإدغام كلام العرب الذي يجري على ألسنتها ولا يحسون غيره)) (١) وأنه مما اختصت به العرب كما يقول ابن فارس (٢) وأن أهل اللغة يخصون بني تميم بظاهرة الإدغام ويخصون أهل الحجاز بالإظهار والبيان (٣) . ((وتجمع دراسات اللسانيين المحدثين في اللهجات وما إليها على أن الإدغام لغة تميم وما جاورها من قبائل وسط الجزيرة العربية وشرقها كأسد وطيء وبكر بن وائل وعبد القيس وتغلب ومعظمها بيئات بدوية تنزع نحو التخفيف والسرعة في نطق الكلمات ومزجها بعضها ببعض دون إعطاء الحرف حقه الصوتي في التجويد أو التحقيق في النطق ، في حين تنحو لهجات الحجاز وما جاورها من قبائل قريش والأنصار وثقيف وهوازن وسعد وكلالة نحو الإظهار والتأني في الأداء .)) (٤)

الإدغام لغة

((هو إدخال حرف في حرف ، يقال : أدغمت الحرف وادّغمته على افتعلته ، والإدغام : إدخال اللجام في أفواه الدواب ، وأدغم الفرس اللجام : أدخله في فيه . قال الأزهري : وإدغام الحرف في الحرف مأخوذ من هذا . (٥) وجاء اللفظ بتخفيف الدال عند الكوفيين وبالتشديد عند البصريين. (٦)

الإدغام اصطلاحا

تحدث سيبويه عن الإدغام كغيره من الظواهر الصوتية ونلمس من خلال عباراته في باب الإدغام (٧) ومقارناته ما بين الإدغام والإظهار والبيان ما يكفي لفهم مقصود الإدغام عنده اصطلاحا وأنه أراد به نوعا من الإخفاء الصوتي الذي عبر عنه ابن عصفور فيما بعد بقوله ((الإخفاء نوعا من الإدغام)) (٨) يقول سيبويه " الإدغام إنما يدخل فيه الأول في الآخر والآخر على حاله ، أو يقلب الأول فيدخل في الأخر حتى يصير هو والأخر من موضع واحد " (٩)

فالإدغام عنده نوعان :

١ـ إدغام صوت في صوت آخر مجاور له .

٢ـ إدغام صوت في صوت آخر قريب من مخرجه .

في الحالة الأولى يشترط في الصوتين أن يكونا متماثلين تماما فيعمد إلى إسكان الأول منهما إن لم يكن ساكنا فعلاً وذلك حتى يزول الفاصل بين المتشابهين كما في " ردّ " والأصل : ردد ،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فتحذف حركة الدال الأولى فيلتصق الصوتان فيخرجان بالتشديد ، أو سكون الأول منهما كما في صيغتي : فعّل ، وافعلّ .

فإن كان الصوتان المتماثلان في كلمتين ، الأول في آخر كلمة والآخر في بداية الكلمة الثانية فعل بهما ما فعل إذا كانا في كلمة واحدة كقوله تعالى : " شهر رمضان " (١٠) فيمن قرأ بالإدغام (١١) أما النوع الثاني وهو إدغام المتجاورين في المخرج والذي عبر عنه سيبوية بقوله : " أو يقلب الأول فيدخل في الآخر حتى يصير هو والآخر من موضوع واحد " فيقتضي اتخاذ الإجراءات الآتية :-

١- تحقيق المماثلة بين الصوتين المراد إدغامها إن لم يكونا متماثلين فعلاً .

٢- تسكين الصوت الأول منهما إن لم يكن كذلك .

٣-سبق الصوتين المدغمين واتباعهما بحركة سواء أكانت قصيرة أم طويلة (١٢)

كما عبر سيبويه عن المماثلة الناجمة عن إدغام الصوتين بعبارات دقيقة تنمو عن إدراك واع بطبيعة هذه الظاهرة الصوتية ودقة لماهية الصوتين المتماثلين بعد الإدغام .

في التقاء المثلين المتجاورين قال :" أرادوا أن يرفعوا ألسنتهم من موضع واحد " (١٣) أما إذا كان القصد من الإدغام هو حدوث مماثلة جزئية بأن يكتسب صوت بعضا من صفات صوت آخر مجاور له أو قريب منه قال : " إدناء الحرف من الحرف " كما يصفها بالمضارعة تارة وتارة بالتقريب (١٤)

جمع المبرد في تعريف الإدغام اصطلاحا ما بين وصف هذه الظاهرة الصوتية وكيفية نطق الصوت المدغم إضافة إلى الشروط التي يجب أن تتوافر في الصوتين ، قال : ((اعلم أن الحرفين إذا كان لفظهما واحداً فسكن الأول منهما فهو مدغم في الثاني ، وتأويل قولنا مدغم : أنه لا حركة تفصل بينهما ، فإنما تعمد لهما باللسان اعتماده واحدة ، لأن المخرج واحد ، ولا فصل ، وذلك قولك : قطع وكسرّ ..... " (١٥)

ولم يخرج ابن جني عما سبقه في تعريف الإدغام اصطلاحا حيث ذكره بالتشديد وعدّه تقريب صوت من صوت فقال : " الإدغام المعتاد إنما هو تقريب من صوت " (١٦) وقال في موضع آخر : " إن الحرف لما كان مدغما خفي فنبا اللسان عنه وعن الآخر بعده نبوة واحدة . " (١٧)

مما سبق يتضح لنا أن الإدغام هو تشكل صوتي يقصد به إدخال صوت في آخر مجاور له حتى يصيرا صوتا واحداً مشدداً ينبو اللسان عنه نبوة واحدة ، وعلى الرغم من أن الصوت الأول لا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يفقد خواصه الصوتية نتيجة إدغامه في الصوت الأخر ، إلا أنه يحدث لهما بالتشديد طولا لم يكن ليكون لولا إدغامهما .

وهو إما أن يكون في صوتين متماثلين متجاورين أو في صوتين متقاربين في المخرج .

أسباب الإدغام

أما عن أسبابه ، فإن تكرار النطق بصوتين متماثلين متجاورين بينهما حركة شيء ، يميل الانسان إلى تجنبه مؤثراً حذف أحد المثلين – أحياناً – كما في قوله تعالى "تنزل الملائكة والروح فيها ." (١٨) بدلاً من " تتنزل " وأحياناً أخرى – كما في الإدغام – يعمد إلى حذف حركة الصوت الأول لكي يلتصق الصوتان فيخرجا وكأنهما صوت واحد ، أما العلة في ذلك فهي كما يرى سيبويه وغيره من العلماء ميلا منه إلى ما يسميه ((التماس الخفة " (١٩) وذلك لأنهم أرادوا – كما يقول : " أن يرفعوا ألسنتهم من موضع واحد " (٢٠) ويقول أيضاً " وذلك لأنهم ثقل عليهم أن يستعملوا ألسنتهم من موضع واحد ، ثم يعودوا له فلما صار ذلك تعباً عليهم أن يداركوا من موضع واحد ولا تكون مهلة كرهوه وأدغموا لتكون رفعة واحدة ، وكان أخفّ على ألسنتهم لما ذكرت لك .

ويقول المبرد " ولكنك أدغمت لثقل الحرفين إذا فصلت بينهما ؛ لأن اللسان يزايل الحرف ، إلى موضع الحركة ، ثم يعود اليه " (٢١)

حتى إن بعضهم شبه حركة اللسان عند النطق بالصوت المضعف بمشي المقيد يقول ابن يعيش " لأنه ثقل عليهم التكرير والعود إلى حرف بعد النطق به وصار ذلك ضيقاً في الكلام بمنزلة الضيق في الخطو على المقيد ؛ لأنه إذا منعه القيد من توسيع الخطو صار كأنه إنما يعيد قدمه إلى موضعها الذي نقلها منه ، فثقل عليه ، فلما كان تكرير الحرف كذلك في الثقل حاولوا تخفيفه بأن يدغموا أحدهما في الآخر ، فيضعوا ألسنتهم على مخرج الحرف المكرر وضعة واحدة ويرفعوها بالحرفيين رفعة واحدة . (٢٢)

وهذه قضية مسلمة عند العلماء في أن علة الإدغام هي الثقل الحاصل من نطق صوتين متماثلين متجاورين فيعمد الإنسان إلى التماس الخفة بالإدغام ، ذلك أنه عندما ينطق صوتا من الأصوات ، فإن اللسان يرتفع به من الموضع – إذا كان الصوت مما يتدخل في نطقه اللسان – الذي نطق به الصوت بمجرد الانتهاء منه ، ثم يعود في الصوت المدغم إلى الموضع نفسه الذي ارتفع منه ليؤدي العمل نفسه ، وفي هذا مشقة وتكلف .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المحدثون أيضاً تابعوا القدماء في علة الإدغام ، يقول د. إبراهيم أنيس في ذلك " هو التقريب بين الصوتين المتجاورين ما أمكن بتسيرا لعملية النطق واقتصادا في الجهد العضلي . " (٢٣) ويقول عنه د. أحمد مختار عمر ((وذلك لتحقيق حد أدنى في الجهد عن طريق تجنب الحركة النطقية التي يمكن الاستغناء عنها .)) (٢٤)

شروط الإدغام

اشترط سيبويه في الإدغام أن يكون الصوت الأول ساكناً " فلم يكن ليكون إدغام إلا بسكون الأول " (٢٥) وقال : " لأن أصل الإدغام أن يكون الأول ساكناً " (٢٦) فالإدغام يقتضي سكون الأول أو إسكانه كما مر بنا ، إضافة إلى أن الصوتين يجب أن يكونا متجاورين تماما لا يفصل بينهما فاصل ، فإن فصل بينهما من حركة أو شبهها فلا إدغام يقول أبو علي الفارسي بأن " روم الحركة يمنع الإدغام ؛ لأنه صوت وهذا الصوت يفصل وإن كان مخفى غير مشبع . " (٢٧) وأضاف ابن يعيش شرطاً أخر ، وهو ألا يكون الثاني من المتماثلين ساكناً ؛ لأنه سيجتمع ساكنان على غير شرط وذلك لا يجوز يقول " والإدغام لا يحصل في ساكن الثاني ؛ لأن الأول لا يكون الا ساكناً فلو سكن الثاني لاجتمع ساكنان على غير شرط وذلك لا يجوز . " (٢٨)

موانع الإدغام

أما عن موانع الإدغام فقد حصرها ابن عقيل في النص التالي " إذا تحرك المثلان أدغم أولهما في ثانيهما إن لم يتصدرا (٢٩) ولم يكن ما هما فيه اسما على وزن فعل (٣٠) أو على وزن فعْل (٣١) أو فعل (٣٢) أو فعَلَ (٣٣) ولم يتصل أول المثلين بمدغم (٣٤) ولم تكن حركة الثاني منهما عارضة (٣٥) ولا ما هما فيه ملحقا بغيره (٣٦) " (٣٧)

وعلى الرغم من تعدد موانع الإدغام إلا أنها لا تخرج في مجملها عن كونها موضعاً واحداً متعدداً هو عدم توافر شرط الإدغام في المواضع المسوقه وما يقتضيه من سكون الأول أو إسكانه وتحرك الآخر .

وبعد ، فهل الصوت المشدّد مقطعان صوتيان ، أو وحدتان صوتيتان أم هو مقطع صوتي واحد ؟ أو وحدة صوتية واحدة ؟ وبناء على ذلك ، هل ينظر إليه من منظار تحليلي ، أم من منظار صوتي فقط أم من كليهما ؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رأي القدماء

تباينت آراء القدماء حول هذه الظاهرة الصوتية فمنهم من يرى أن الصوت المضعف يصير صوتا واحداً مشدّداً بعد الإدغام ينبو اللسان عنه نبوة واحدة ، يقول الزجاجي " هو أن يلتقي حرفان من جنس واحد ، فتسكن الأول منهما وتدغمه في الثاني ، أي : تدخله فيه ، فيصير حرفاً واحداً مشدّداً ينبو اللسان عنه نبوة واحدة . " (٣٨) وهو ما تبناه الرضي في شرحه على شافية ابن الحاجب يقول : " والذي أرى أنه ليس الإدغام الإتيان بحرفين بل هو الإتيان بحرف واحد مع اعتماد على مخرجه قوي . " (٣٩)

بينما يرى آخرون أنه كصوت واحد وليس صوتا واحدا يقول ابن السراج " وهو وصلك حرفا ساكنا بحرف مثله من موضعه من غير حركة تفصل بينهما ولا وقف فيصيران بتداخلهما كحرف واحد ترفع اللسان عنهما رفعة واحدة . " (٤٠)

ويبدو لي أن هذا التعبير " كحرف واحد " وقوله " ترفع اللسان عنهما " كان المراد منه أنه صوت فيه من الطول ما ليس في غيره من غير المدغم وإلا لما قال ذلك ، ولاقتصر على القول : إنه صوت مشدّد مثلاً كما قال غيره . بينما ذهب آخرون إلى أن الصوت المضعف يقوم مقام صوتين وعبارة سيبويه واضحة في أنه نظر إلى الصوت المدغم نظره تحليلية يقول " هذا باب الإدغام في الحرفين اللذين تضع لسانك بهما موضعا واحداً لا يزول عنه " (٤١) فقوله " تضع لسانك لهما " تعبير واضح في أن الصوت المضعف صوتان حتى بعد الإدغام ، وهو ما سار عليه كثير من العلماء كابن الحاجب (٤٢) وابن عصفور (٤٣) والأنباري (٤٤) وغيرهم وسماه مكي بن أبي طالب القيسي المشدّد وعدّه صوتين صراحة يقول " اعلم أن المشدّد المفرد في القرآن والكلام كثير ، وكل حرف مشدّد يقوم مقام حرفين في الوزن واللفظ . " (٤٥)

المحدثون

يرى معظم المحدثين أن الصوت المدغم وحدة صوتية واحدة بعضهم يصفها بأنها صوت طويل تمييزاً لها عن الوحدة الصوتية غير المدغمة ، وبعضهم يقتصر في القول بأنها صوت واحد ، يقول د. أحمد مختار عمر " إحلال صوت ساكن طويل محل الصوتين الساكنين القصيرين (٤٦) ويقول فندريس " ومن الخطأ أن يقال إنه يوجد ساكنان في أتا " atta " وساكن في " أتا ata " فالعناصر المحصورة بين الحركتين في كلتا الكلمتين واحدة ، عنصر انحباسي يتبعه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عنصر انفجاري ، ولكن بينما نجد العنصر الانحباسي في " ata " يتبعه العنصر الانفجاري مباشرة نجده في " atta" ينفصل عنه بإمساك يطيل مدى الإغلاق . (٤٧)

د. عبد الصبور شاهين رأى هو الآخر أن الصوت المدغم صوت واحد طويل يستغرق نطقة فترة زمنية أطول ، تماماً كما هو الحال في صوت المد الطويل قياساً إلى صوت المدّ القصير الذي من جنسه ، يقول " ويلاحظ – أيضا – أن تضعيف العين إنما يعني في التحليل الصوتي تطويل مدّة النطق بها من مخرجها حتى يمكن أن يقال إن الصامت المضعف هو صامت طويل وكذلك طول الحركة فهو يعنى صوتياً مضاعفة زمن النطق بالحركة القصيرة لتصبح حركة طويلة ، أو حرف مدّ " ثم يقول : فإذا نظر في نطق الصامت المضعف إلى طبيعة العملية النطقية ووحدتها قلنا إنه صامت طويل يشبه الحركة الطويلة التي تساوي ضعف الحركة القصيرة ، هذا من الناحية الصوتية وأما إذا نظر إلى أصله من الناحية الصرفية ، أي من حيث تقسيمه إلى صامتين قصيرين ، قلنا إنه صامت مكرر كما يحدث عندما تنقسم الحركة الطويلة إلى حركتين قصيرتين ((٤٨)

وهذا القول يلتقى في جانب منه مع ما يقوله د. إبراهيم السامري الذي وسع – كما يقول – من دائرة الإدغام فجعله بين أصوات المدّ كما هو بين الأصوات الصحيحة ، يقول : " أقول : إن مصطلح الادغام يقتضي التشديد ؛ لأنه صوتان تحولا إلى صوت واحد في النطق والرسم ولما كان الإدغام في حقيقة الأمر التماسا للخفة وابتعاداً عن التقارب بين الأصوات وإن اللسان قد يذهب إلى أحدهما الذي يألفه فيكون الفعل نطقاً : يضَجع ، والأصل : يضطجع ، ذهبت إلى جعل " ايت " بالمدّ من هذا الباب من حيث هو التماس للخفة ، وكأني وسعت من دلالة مصطلح الإدغام فأدخلت فيه ما لم يجر عليه اللغويون " (٤٩)

ففي الوقت الذي أتفق فيه مع د. إبراهيم السامري في ان الصوت المضعف أصبح وحدة صوتية طويلة بالإدغام إلا أنني لا أتفق معه في استعمال مصطلح الإدغام للدلالة نفسها على ما آلت اليه الحركتان القصيرتان اللتان أصبحتا حركة طويلة من جنسهما (٥٠) وذلك لعدو توافر شروط الإدغام – المكون الأساس له – في الحركات كما هو الحال في الأصوات الصحيحة ، فشرط الإدغام أن يكون الصوت الأول ساكنا والآخر متحركا ، ولا أظن أن هذا يتمشى مع الحركة القصيرة التي أصبحت مع أختها نتيجة تجاورهما حركة طويلة من جنسهما فرسمتا ياء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

د. إبراهيم أنيس رأى أن الصوت المدغم مقطع صوتي واحد ، ولكنه لم يشر إلى عملية الطول كما أشار غيره قال " هو فناء الصوت الأول في الصوت الثاني ، بحيث ينطق بالصوتين صوتا واحداً " (٥١)

من الذين يرون أن الصوت المدغم مقطعان صوتيان أو صوتان د. داود عبده في بحث له بعنوان " الصوت الصحيح المشدد " (٥٢) و د. جعفر عبابنة في بحث له بعنوان " في حقيقة الإدغام . " (٥٣)

بدأ د. داود عبده بحثه بعرض رأي جوزف فندريس السالف الذكر والذي يخطئ فيه أن يقال إنه يوجد ساكنان في " أتّا atta " وساكن في " أتا ata" ذاهبا إلى أن العناصر المحصورة بين الحركتين في كلتا الكلمتين هي واحدة عنصر انحباسي يتبعه عنصر انفجاري فيعلق د. داود عبده على هذا الرأي بقوله " غير أن طريقه لفظ الأصوات اللغوية ليس هو المقياس لاعتبارها صوتا واحداً أو صوتين وإنما المقياس هو التحليل الذي يفسر الظواهر اللغوية تفسيراً أفضل ومن وجهة النظر هذه نجد أنه لا بد من اعتبار الصوت المشدد في اللغة العربية صوتين لغويين متماثلين لا صوتا واحداً " (٥٤)

وقد ذكر خمسة أسباب داعمة لرأيه هي :

١ـ أن الصوت المشدد معاقب لصوتين متماثلين فالدال مثلاً صوت واحد في " ارتد " ولكنها صوتان في ارتددت ...

٢ـ قياساً على الأفعال الجوفاء والأفعال المعتلة الآخر ، فكما أنها في أصل وضعها ثلاثية فكذلك الفعل المشدد ثلاثي .

٣ـ أن الأوزان العروضية في العربية تفرّق بين كلمتي : جَدَلَ وجَنْدَل ، ولكنها في الوقت نفسه لا تفرق بين : جدَلَ وجندل .

٤ـ ظاهرة المماثلة التي تتطلب تحليل الصوت المشدد إلى صوتين متماثلين متواليين في مثل : اطرد ، ويدّعي .

٥ـ دراسة مواقع النبر في اللهجات العربية تتطلب تحليل الصوت المشدد إلى صوتين متماثلين متواليين (٥٥)

٦ـ والغريب في الأمر أن د. داود عبده أتبع بحثه هذا ببحث آخر عن صوت المدّ الطويل مستفسراً عن إمكانية اعتباره صوتين متماثلين متواليين تماماً مثل الصوت الصحيح المشدد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

، يقول : " هل نستطيع اعتبار الألف في مثل (قال) (وهي عبارة عن فتحة طويلة) فتحتين متواليتين والواو في مثل (صبور) (وهي عبارة عن ضمة طويلة) ضمتين متواليتين ، والياء في مثل (جميل) (وهي عبارة عن كسرة طويلة ، كسرتين متواليتين) (٥٦) .

وإني وإن كنت متفقاً معه تماماً فيما توصل إليه من نتائج حول هذه الظاهرة (٥٧) إلا أنني أختلف معه في قياسها على ما حصل بالإدغام في ظاهرة الصوت الصحيح المشدد قياساً عكسياً ، وذهابه إلى أنه صوتان لا صوت واحد ، وكان الأولى به أن يتخذ من تحليله لهاتين الظاهرتين نتيجة واحدة تتفق مع ما آل إليه كلّ منهما فيذهب إلى أن الصوت المشدد صوت واحد طويل تماماً كما ذهب إلى أن الألف في (قال) صوت مدّ طويل والياء في (جميل) صوت مدّ طويل والواو في (صبور) صوت مدّ طويل ، فكل منهما أعني : الصوت المدغم وصوت المدّ الطويل في أصل وضعه مكون من صوتين ، ولم يقل أحد غير ذلك ، لكنه حدث لصوتي المدّ – كما أشار د. عبده نفسه – القصيرين أن تحولا إلى صوت مدّ طويل من جنسهما وهو الأمر نفسه الذي حدث للصوت المدغم فقد تحول إلى صوت طويل .

ونحن إذا عدنا إلى الأسباب الخمسة التي ذكرها وجدناها لا تخرج في مجملها عن كونها سبباً واحداً متعدداً يتمثل في نظرته إلى أصل الصوت المدغم ، والى تحليله الصوتي المكون من صوتين صحيحين بدليل أنه دائم التمثل بهذه العبارة " إنه في التحليل الصوتي ... " وكان الأولى أن يفصل بين النظر اليه حال كونه مضعفاً أو حال كونه مدغماً .

صحيح أنهما – كما يقول د. داود عبده وغيره من العلماء – صوتان صحيحان في : مددت ، وارتداد وغيرهما مما هو في أمثالهما لكنه حصل بالإدغام أن تحولا إلى صوت واحد طويل وكما أن الضمة – أيضا – عند التقائها بمثلها بعد حذف صوت المد الطويل في مثل : يدعُوُ – في حالة الرفع – التي تحولت إلى : يدع ← يدعو – كونت صوت مد طويلاً من جنسها وكما أشار إلى ذلك د. داود عبده (٨٥) كذلك الأمر في الصوت المضعف فبعد حذف الحركة الفاصلة بين الصوتين الصحيحين تحولا إلى صوت طول ينبو اللسان عنه – كما يقول العلماء – نبوة واحدة مع الآخذ بالاعتبار أنه لا إدغام في حركتي الضم اللتين تحولتا إلى ضمة طويلة من جنسهما في الفعل " يدعو " مثلاً لانتفاء شرط الإدغام – كما قلت – وإنما طبيعة الكتابة العربية هي التي دعت إلى أن يكون رسم الكلمة بهذه الصورة التي نراها أمامنا .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكذلك ما نجده عند د. جعفر عبابنة في بحثه المعنون بـ " في حقيقة الإدغام " والذي يلتقى فيه مع د. داود عبده في بعض الأسباب التي دعته إلى اعتبار الصوت المدغم صوتين لا صوتا واحداً ، متخذاً من التحليل الصوتي لهذه الظاهرة وسيلة لدعم رأيه .

بدأ د . جعفر بحثه بالحديث عن الوسائل المستخدمة في اللغة للتخلص من التضعيف الذي يحصل به الثقل فذكر حذف أحد المتماثلين كما في قوله تعالى : فظلمتم تفكهون "(٥٩) والأصل : فظللتم ، ثم إبدال أحد الحروف المتماثلة نحو قولهم : أمليت . في : أمللت ، ثم قال : إن أهم وسيلة للتخلص من التضعيف في العربية ، هي الإدغام " (٦٠)

وهي مقدمة عادته إلى ما يريد أن يتوصل إليه من نتائج على الرغم من أنه لو تمثلها حقَ تمثلها لأدت إلى نتائج منسجمة مع طبيعة هذه الظاهرة الصوتية وما تمثله من حسن التخلص من الثقل ، كما ستكون منسجمة – أيضاً – مع ما تريده اللغة في تخلصها من التضعيف عن طريق الحذف ، وإلا ما الفائدة من أننا - إذا أخذنا في الاعتبار أن الإدغام مكون من صوتين - تخلصنا من التضعيف بالإدغام ، ووقعنا في ما هو أشد ثقلاً وهو الإبقاء على الصوتين ، مع أنها – كما يقول د. جعفر اتبعت وسائل متعددة للتخلص من نطق الصوتين ، يقول د. جعفر ((ويدعم رأينا كذلك في أن الإدغام يتألف من حرفين لا حرف واحد تبين مصادر الإدغام ، فلا إدغام بغير تضعيف ، أي : وجود حرفين مثلين ، وهذا يأتي إما في أصل الوضع بكون الجذر مضعفاً كما في شدَ ومدَ ، أو بكون البناء الصرفي متميزاً بتكرير حرف من الحروف كما في : فعّل وفعّال ، وإما عرضا واتفاقاً من اجتماع حرفين مثلين أولهما ساكن وثانيهما متحرك ، عند حدود الكلمات في التراكيب النحوية كما في قولنا : قد دام ، وإما نتيجة التماثل الكلي كما في : امحى وانقلابها إلى : امحي ، فتجتمع ميمان ، الأولى ساكنة والثانية متحركة فيجرى الإدغام .

والملاحظ أنه في التماثل الكلي لم يكن الإدغام حتى انقلبت النون ميماً واجتمعت ميمان ، مما يدل دلالة قاطعة على أن الإدغام يتطلب حرفين مثلين لا حرفاً واحداً .)) وبقوله أيضاً " وإذا كانت مصادر الإدغام تدل على أنه لا بد من توافر المثلين في كل مرة حتى يتم الإدغام فإن فك الإدغام يدل هو الآخر دلالة قاطعة على وجود المثلين ، فلو قلنا في شدَ : شددت بين لنا الإظهار أن ثمة حرفين لا حرفاً واحداً ، وأن الفرق بين الإدغام وفك الإدغام ، ما هو الا انعدام الحركة بين المثلين ووجودها . " (٦١)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويبدو أن د. جعفر ما زال يدور في فلك الأسباب التي جاء بها د. داود عبده ، وينظر إلى الإدغام نظرته إلى التحليل الصوتي للصوت المشدد لا إلى الصوت المشدد نفسه ، وبالتالي فإن كل ما جاء به نستطيع اسقاطه على الصوت المضعف غير المدغم لا على الصوت المدغم ، ومن هذا المنطلق فإن قوله " فلا إدغام بغير تضعيف " قيد لا ينكره أحد فيسقط الاستدلال به ، لأننا في تعاملنا مع هذه الظاهرة ننظر إليها حسب وضعها وما آلت إليه – كما قلت – لا حسب مكوناتها الأساسية ، ومن وجهة النظر هذه فإن ما يقوله د. جعفر صحيح تحليليا في حال تحويل الصوت المدغم إلى مقطعين لكننا صوتيا لا يمكننا اعتباره صوتين تماماً كما قلنا فيما آل إليه صوت المد الواو في مثل " يدعو " فهو تحليليا مكون من صوتين لكنه في صورته الماثلة أمامنا لا يمكننا إلا أن نعتبره صوتاً واحداً طويلاً ومن جهة أخرى ، فإن قوله " .... مما يدل دلالة قاطعة على أن الإدغام يتطلب حرفين لا حرفاً واحداً " وقوله " ..... تبين مصادر الإدغام فلا إدغام بغير تضعيف " نسقطه بقولنا : إنه لا يوجد أحد ينكر ذلك ، فالتضعيف هو المكون الأساس للإدغام ، وبعد ، فإن طبيعة الصوت المدغم تفرض علينا فرضاً أن ننظر إليه من الجانب الصوتي لا الجانب التحليلي ، وإن كان هذا مهما لتبين مصادر الإدغام ، فالتكوين الصرفي له أمر واجب وملزم وإلا لما وجد كظاهرة صوتية أصلاً في اللغة لها صفاتها بهذه الصورة ، ولما أمكننا أن نفرق صوتيا بين نطق الميم – مثلا – في : سمعت ونطقها في : سمّعت .

ومن هذا المنطلق فإني أرى أن الصوت المدغم وحدة صوتية واحدة لا وحدتين صوتيتين ، فيها من الطول ما ليس في مثيلاتها من الوحدات الصوتية غير المدغمة .

وأرى أيضاً أن التضعيف قد يقود إلى الإدغام وقد لا يقود ، فالفعل " مدّ " فعل مضعّف مدغم ، والفعل " مددت " فعل مضعّف غير مدغم ، كما هو الحال في الفعل الرباعي المضعف في مثل : زلزل . وعلينا أن نفرق بين التضعيف والإدغام ، فكل فعل مدغم هو بالقرون يجب أن يكون مضعفاً لكن ليس بالضرورة نفسها أن يكون كل فعل مضعّف مدغماً .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(١) النشر ١٧٥/١

(٢) الصاحبي في فقه اللغة ص ٢٠

(٣) الكشف عن وجوه القراءات ٤١٣/١ وانظر : الخصائص ١٤٠/٢ والمزهر ١/ ١٩٤

(٤) القراءات القرآنية وعلاقاتها بالأصوات واللهجات ص٧٣

(٥) لسان العرب مادة : دغم

(٦) مختار الصحاح مادة : دغم

(٧) الكتاب ٤٠٤/٢ وما بعدها

(٨) الممتع في التصريف ٧٠١/٢

(٩) الكتاب ٤٠٤/٢

(١٠) البقرة آية ١٨٥

(١١) وهي قراءة أبي عمرو بن العلاء ، اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ص ١٩٩ .

(١٢) دراسة الصوت اللغوي ص ٣٨٧ .

(١٣) المقتضب ١/ ١٩٧ .

(١٤) الكتاب ٢٥٥/٢ .

(١٥) نفسه ٢/ ٣٥٧ .

(١٦) الخصائص ١٣٩/٢

(١٧) نفسه ١٣٩/٢ وانظر في تعريف الإدغام اصطلاحا : أسرار العربية ٤١٨ والأصول في النحو ٤٠٥/٣ والجمل ٣٧٨ وشرح شافيه ابن الحاجب ٢٣٥/٣ وشرح المفصل ١٢١/١٠ والممتع في التصريف ٦٣١/٢

(١٨) القدر آية ٤

(١٩) الكتاب ٢٥٩/٢

(٢٠) نفسه ٢٥٥/٢

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٢١) نفسه ٣٩٨/٢

(٢٢) المقتضب ٣٤٢/١ وانظر في المعنى نفسه : معاني القرآن للأخفش ١٠٦/١ ومعاني القرآن للفراء ٣٥٣/٢ والممتع في التصريف ٦٣١/٢ والسبعة في القراءات ١٢٥ .

(٢٢) شرح المفصل ١٢١/١٠ وانظر : الممتع في التعريف ٦٣١/٢

(٢٤) الأصوات اللغوية ١٨٤

(٢٥) دراسة الصوت اللغوي ٣٨٧

(٢٦) الكتاب ٣٧٢/٢

(٢٧) نفسه ٣٢٣/٢

(٢٨) الحجة في علل القراءات السبع ١٥٩/١

(٢٩) شرح المفصل ١٢١/١٠ وانظر : المنصف في شرح تصريف المازني ٢/ ٣٠٠

(٣٠) مثل : دَدَن . وهو اللهو .

(٣١) مثل : دُرَر .

(٣٢) مثل : سُرُر .

(٣٣) مثل : لِمم .

(٣٤) مثل : مَدَد .

(٣٥) مثل : قرَر .

(٣٦) مثل : اكفف الشَر .

(٣٧) مثل : جلبب .

(٣٨) شرح ابن عقيل ٦١٦/٤ .

(٣٩) الجمل ٣٧٨

(٤٠) شرح شافيه ابن الحاجب ٢٣٥/٣

(٤١) الأصول في النحو ٤٠٥/٣ وانظر : الخصائص ١٣٩/٢ وشرح المفصل ١٢١/١٠

(٤٢) الكتاب ٤٠٧/٢

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٤٣) شرح شافيه ابن الحاجب ٢٣٣/٣

(٤٤) الممتع في التصريف ٦٣١/٢

(٤٥) أسرار العربية ٤١٨

(٤٦) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ٢١٩

(٤٧) دراسة الصوت اللغوي ٣٨٨

(٤٨) اللغة ص ٤٩

(٤٩) المنهج الصوتي للبنية العربية ص ٢٠٧

(٥٠) الإدغام والإبدال في أبنية الفعل ص ١٣

(٥١) وهما الكسرتان اللتان تحولتا إلى ياء في " ايت " ....

(٥٢) الأصوات اللغوية ١٨٧

(٥٣) أبحاث في اللغة العربية ص ٣٠

(٥٤) مجلة أبحاث اليرموك المجلد الثالث العدد الثاني ١٩٨٥

(٥٥) أبحاث في اللغة العربية ص ٣٠

(٥٦) أبحاث في اللغة العربية ص ٣١ وما بعدها بتصرف

(٥٧) نفسه ص ٣٥

(٥٨) أقصد : اعتبار الألف فتحتين متواليتين والواو ضمتين متواليتين والياء كسرتين متواليتين .

(٥٩) أبحاث في اللغة العربية ص ٣١ وانظر : الحذف الصرفي في اللغة العربية ص ٨٧

(٦٠) الواقعة آية ٦٥

(٦١) في حقيقة الإدغام ص ٤٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قائمة المراجع

١- الأخفش ، أبو الحسن سعيد بن مسعدة ، معاني القرآن . تحقيق : د. فائز فارس ، الطبعة الأولى ١٩٨١

٢- الاستراباذي ، رضي الدين محمد بن الحسن ، شرح شافية ابن الحاجب ، تحقيق : محمد نور الحسن وزملائه ، دار الكتب العلمية . بيروت ١٩٧٥م

٣- الاشبيلي ، ابن عصفور ، الممتع في التصريف ، تحقيق : فخر الدين قباوة ، دار المعرفة ، الطبعة الأولى ١٩٨٧

٤- الانباري ، أبو البركات عبد الرحمن ، أسرار العربية : تحقيق : محمد بهجة البيطار ، مطبعة الترقي ، دمشق ١٩٥٧

٥- أنيس د. إبراهيم ، الأصوات اللغوية ، دار النهضة ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٦١

٦- البناء ، شهاب الدين أحمد الدمياطي ، اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ، شرح : أنس مهرة – دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٨

٧- ابن الجزري ، أبو الخير محمد . النشر في القراءات العشر ، تحقيق : محمد أحمد دهمان

٨- ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، الخصائص ، تحقيق : محمد على النجار

٩- ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، المنصف في شرح تصريف المازني ، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله الأمين – مطبعة مصطفى البابي الحلبي الطبعة الأولى ١٩٥٤ .

١٠-الرازي ، محمد بن أبي بكر ، مختار الصحاح – ترتيب : محمود خاطر دار الكتب المصرية .

١١-روابدة ، د. محمد أمين – الحذف الصرفي في اللغة العربية ، رسالة دكتوراه ، الجامعة الأردنية ١٩٩٥ ، نسخة المؤلف نفسه .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٢-الزجاجي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق ، الجمل في النحو ، تحقيق : د. على الحمد ، بيروت ١٩٨٤ .
١٣-السامرائي ، د. إبراهيم . الإدغام والإبدال في أبنية الفعل ، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني العدد (٥٠) السنة (٢٠) ١٩٩٦
١٤-ابن السراج ، محمد بن سهل ، الأصول في النحو ، تحقيق : عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٩٨٥ بيروت .
١٥-سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الكتاب طبعة بولاق
١٦-السيوطي – جلال الدين – المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، شرح وتعليق محمد جاد المولى ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلي محمد البجادي ، المكتبة العصرية ١٩٨٧
١٧-شاهين د. عبد الصبور – المنهج الصوتي للبنية العربية ، مؤسسة الرسالة
١٨-طيان ، محمد حسان ، القراءات القرآنية وعلاقتها بالأصوات واللهجات ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، المجلد الثاني والسبعون ، الجزء الثاني نيسان ١٩٩٧
١٩-عبابنة د. جعفر ، في حقيقة الإدغام ، مجلة أبحاث اليرموك ، المجلد الثالث العدد الثاني ١٩٨٥
٢٠-عبده د. داود ، أبحاث في اللغة العربية ، مكتبة لبنان ١٩٧٣
٢١-ابن عقيل ، بهاء الدين عبد الله شرح ابن عقيل ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد الطبعة الرابعة عشرة .
٢٢-عمر ، د. أحمد مختار ، دراسة الصوت اللغوي ، عالم الكتب ١٩٩١
٢٣-ابن فارس ، أبو الحسين أحمد ، الصاحبي في فقه اللغة ، تحقيق السيد أحمد صقر . دار إحياء الكتب العربية
٢٤-الفارسي ، أبو علي ، الحجة في علل القراءات السبع ، تحقيق : علي النجدي ناصف و د. عبد الحليم النجار و د. عبد الفتاح شلبي ، القاهرة ١٩٨٣م .
٢٥-الفراء أبو زكريا يحي بن زياد ، معاني القرآن تحقيق : محمد علي النجار ، وزميله ، بيروت ، عالم الكتب الطبعة الثانية .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢٦ـ فندريس ، جوزف ، اللغة ، ترجمة : عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٥٠

٢٧ـ القيسي ، مكي بن أبي طالب ، الكشف عن وجوه القراءات ، تحقيق : د. محي الدين رمضان ، دمشق ١٩٧٤

٢٨ـ القيسي مكي بن أبي طالب ، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ، تحقيق : أحمد حسن فرحات ، دمشق ، دار الكتب العربية ١٩٨٣

٢٩ـ ابن مجاهد ، السبعة في القراءات ، تحقيق د. شوقي ضيف القاهرة ١٩٧٢

٣٠ـ المبرد ، أبو العباس ، المقتضب ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت .

٣١ـ ابن منظور محمد بن مكرم ، لسان العرب ، دار صادر بيروت ١٩٥٥

٣٢ـ ابن يعيش ، موقف الدين ، شرح المفصل ، عالم الكتب .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner